

التبيان في تفسير القرآن

(366) ليحسبوهم المؤمنون منهم، وليسوا منهم، لانهم لا يعتقدون فرضها. وبه قال قتادة وابن زيد. وقوله: " ولا يذكر الله إلا قليلا " إنما وصف ما استثناه من ذكرهم بالقلّة من حيث انهم لا يقصدون به وجه الله، ولا التقرب اليه، لا ان شيئاً من ذكر الله يوصف بانه قليل، بل يوصف جميعه بانه كثير، قال الحسن: وصفه بالقلّة، لانه كان لغير الله. وقال قتادة: لانه لم يقبله الله وكلما رده الله، فهو قليل، وما قبله فهو كثير. وقال الجبائي: لانهم. إذا قاموا إلى الصلاة، لم يذكروا غير تكبيرة الاحرام. وقوله: " مذبذبين " في موضع نصب على الحال. ومعناه انهم يقومون إلى الصلاة يعني المنافقين مترددين، لالى هؤلاء يعني المؤمنين فيفعلونه، فيستحقون به الثواب ولا إلى هؤلاء يعني الكفار فيجاهرون بالكفر، بل بين ذلك يظهرهم الايمان، فيجري عليهم حكم أهله، ويبطنون الكفر فيستحقون به عقاب أهله. واصل التذبذب التحرك والاضطراب. قال النابغة: الم تر ان الله اعطاك سورة * يرى كل ملك دونها يتذبذب (1) وقال الحسن بن علي المغربي: مذبذبين مطرودين من هؤلاء، ومن هؤلاء، من الذب الذي هو الطرد. وصف الله تعالى هؤلاء المنافقين بالحيرة في دينهم، وانهم لا يرجعون إلى صفة فيه، لامع المؤمنين على بصيرة، ولامع الكفار على جهالة. وقال ابن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان مثلهم مثل الشاة العائرة بين الغنمين تتحير، فتنظر إلى هذه وإلى هذه، لاتدري ايهما تتبع. وبهذه الجملة قال السدي وقتادة ومجاهد وابن جريج وابن زيد وغيرهم من المفسرين. وقوله: " ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا " يحتمل امرين: احدهما - من يضل الله عن طريق الجنة، فلن تجد له سبيلا إلى طريق الجنة. والثاني - من يجد له عقوبة على معاصيه عن طريق الرشاد والاسلام، ولم _____ (1) - مر في 1: 19 (*)